

التعليم والزيادة السكانية: مقارنة اقتصادية

فيصل بوطيبة

عبد الغني بوطيبة

جامعة أدرار

الملخص:

يولي الاقتصاديون حديثا اهتماما خاصا بالقضايا الديمغرافية التي أضحت تشكل جانبا مهما من التحديات الاقتصادية المطروحة قطريا ودوليا. فقد بات الانفجار الديمغرافي -على سبيل المثال- في عديد من البلدان النامية والفقيرة مصدر قلق حقيقي لصانعي القرار نظرا لما يترتب عليه من تداعيات اقتصادية واجتماعية خطيرة. وفي هذا السياق، يركز الباحثون في إطار التحليل الاقتصادي للخصوبة بشكل خاص على دور التعليم باعتباره عاملا محوريا في تحديد هذه الظاهرة.

Abstract:

Economists give recently special importance to the demographic issues which become among the great economic challenges nationally and internationally. Obviously, the demographic explosion -for instance- constitutes today a dilemma for policy-makers in many developing and poor nations regarding to its economic and social repercussions. In this frame, researchers focus in their economic analysis of fertility on education as it a key factor in explaining this phenomenon.

الكلمات المفتاحية:

الخصوبة، التعليم، التحليل الاقتصادي، البلدان النامية.

مقدمة:

لم تعد انشغالات الاقتصاديين مقتصرة على القضايا الاقتصادية المحضة، بل تعدت ذلك لتتطال القضايا الاجتماعية وغيرها. ومن ضمن القضايا الديمغرافية التي أضحت تفرض نفسها على الصعيد المحلي والدولي قضية الخصوبة (fertility) وذلك بالنظر لارتباطاتها الوثيقة بالجوانب الاقتصادية سواء في البلدان المتقدمة أو النامية. من هذا المنطلق أصبح

التحليل الاقتصادي للخصوبة يشكل ضرورة بالغة قصد فهم وحل المشاكل السكانية المختلفة.

والجدير بالذكر أن انشغال الاقتصاديين بهذا الموضوع يعود إلى البدايات الأولى لعلم الاقتصاد وتحديدا إلى إسهامات مالتوس الذي اقترن اسمه دوماً بالمسألة السكانية. ولكن خلال العقود الخمس الماضية توسع البحث كثيرا في هذا الجانب الاجتماعي المهم خاصة بعد ظهور دراسات الأمريكي جاري بيكر -الحائز على جائزة نوبل عام 1992- في نهاية الستينيات.

وفي إطار هذه الدراسات، وفي صدد البحث عن المحددات الرئيسية للخصوبة، خص الباحثون دور التعليم عناية كبيرة حيث تبين من خلال عديد من الدراسات الأمبريقية أنه يمثل واحداً من العوامل المهمة في تفسير سلوك الخصوبة.

تهدف الورقة البحثية إلى تسليط الضوء بشكل خاص على علاقة التعليم بالخصوبة في إطار التحليل الاقتصادي لظاهرة الخصوبة وذلك من خلال ثلاث محاور حيث يتطرق المحور الأول إلى التحليل الاقتصادي للخصوبة. أما المحور الثاني فيناقش دور التعليم في تفسير الخصوبة بينما يعالج المحور الثالث قنوات تأثير التعليم على الخصوبة.

أولاً: التحليل الاقتصادي للخصوبة

إن البحث في المحددات الاقتصادية لظاهرة الخصوبة له جذور تمتد إلى زمن الكتاب الكلاسيك وعلى رأسهم مالتوس الذي عُرف عنه اهتمامه الخاص بالمشكلة السكانية. ومنذ ذلك الحين، توسعت أدبيات الباحثين وزادت تنوعاً وعمقاً خاصة خلال العقود الخمس الماضية.

فقبل قرنين من الزمن، حاول مالتوس (1798) تفسير ظاهرة الخصوبة، وقد خلص في ذلك إلى وضع نظرية عامة حولها. إذ كان يعتبر الخصوبة بمثابة نتاج للعزى والأسس الاجتماعية قبل أن تكون خياراً فردياً؛ فالخصوبة في نظره تحكمها جملة من الشروط الاقتصادية التي يضعها المجتمع على كاهل الراغبين في الاقتران، حيث لا يُسمح للعاجز عن توفير ما يلزم من امكانات مادية - بما فيه الدخل - للإقدام على الزواج لأن ذلك لا يؤهله لإعالة الأولاد. ومعنى ذلك أن الخصوبة ما هي إلا دالة للمعطيات

الاقتصادية التي يحياها المجتمع، وكل خرق لهذا المفهوم العرفي انما هو خرق للنظام الطبيعي.¹

وقد ظهرت في القرن الماضي دراسات نحت منحى مالتوس مثل دراسة السويدي هكشر سنة 1963 التي أكد من خلالها على صحة نظرية مالتوس، حيث انتهى الى أن ثمة ارتباط ايجابي مابين الزواج (والخصوبة) والأعوام التي شهدت وفرا في المحاصيل، وذلك بناء على السلاسل الزمنية المتاحة بعد سنة 1720 عن معطيات تخص السويد. وبالمقابل فان انخفاض عدد الزيجات- وتبعا الخصوبة- حصل في سنوات عجاف.²

لكن بشكل عام، لاقت النظرية انتقادات واسعة من قبل الاقتصاديين. ودليل عدم رجحان ما ذهب اليه مالتوس هو انخفاض الخصوبة بشكل تدريجي في نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا عقب الثورة الصناعية حيث تحسنت الظروف المعيشية وارتفعت دخول الأفراد.

ومما أخذ على مالتوس إهماله "جودة" السكان population (quality)، أي رأس المال البشري.³ فقد كانت نظريته ترى في الوظيفة البيولوجية الخالصة للوفيات آلية فعالة في الموازنة ما بين عدد السكان والحاجات المتاحة. بيد أن وقائع النمو الاقتصادي والتحول الديمغرافي أدت الى إعادة صياغة نظرية السكان فيما يتعلق بقرارات الأفراد إزاء كم وجودة الأولاد.

كما قام نوتستين (1945) بوصف الأبعاد الأولية للتحول الديمغرافي وناقش الضغوطات الاقتصادية التي تَوَقَّع تخفيضها للخصوبة في البلدان متدنية الدخل، وهي أساسا: ارتفاع تكلفة الأولاد في الحضر والترقية الفردية لصحة وتعليم الأطفال. فالنماذج الاقتصادية لخيار الخصوبة في حياة الأزواج تركز على جوانب عدة من عملية الخيار هذه، غير أن العلاقة بين كم الاولاد وجودتهم (quantity versus quality) كالتعليم والصحة أضحت الجانب الرئيس في الدراسات الحديثة.⁴

¹ Theodore Schultz, (2007) fertility in developing countries, Economic growth centre, Yale University, p2. [ageconsearch.umn.edu/bitstream/10119/1/dp070953.pdf]

² Ibid , p3.

³ Mincer Jacob, (1981) Human capital and economic growth, National bureau of economic research, working paper N. 803, p20.

⁴ Schultz theodore, (2001) The fertility transition: Economic explanations, Economic growth center, Yale university, p6.

وفي هذا الصدد، تعتبر أعمال الأمريكي جاري بيكر من أولى وأبرز الأعمال التي تميزت بالتوسع في استخدام الأساليب الاقتصادية في دراسة الخصوبة، وتحديدًا مسألة الخيار فيها. ويعد بحثه الموسوم بـ "التحليل الاقتصادي للخصوبة" حجر الزاوية للأدبيات الحديثة، وقد خلص الباحث في هذه الدراسة إلى مايلي:¹

« يُنظر للأطفال كونهم سلعا معمرة (durables goods) تدر دخلا، يكون في بادئ الأمر معنويا (psychic income)، وتتحدد الخصوبة على أساس: الدخل، تكلفة الطفل الواحد، المعرفة، عدم اليقين وكذا الأذواق. فالزيادة في الدخل وانخفاض الثمن (تكلفة الطفل) يؤديان إلى زيادة الطلب على الاطفال، مع الاخذ في الحسبان الفرق بين كم وجودة الأطفال المطلوبين... إن جودة الأطفال ترتبط مباشرة بحجم الانفاق عليهم. كل أسرة معنية "بإنتاج" أطفالها مادام أن الأطفال لا يمكن المتاجرة بهم في الاسواق. لذلك فان عدم اليقين في "إنتاجهم" كنوع الجنس مثلا يخلق عدم يقين مقابل في الاستهلاك. لذلك أيضا فان عدد الأولاد لأسرة ما لا يرتبط فقط بالطلب عليهم ولكن على القدرة على إنجابهم: بعض الأسر لا تستطيع انجاب ما ترغب فيه من أولاد والبعض الآخر ينجب أكثر مما يرغب فيه، وبالتالي من الضروري التمييز بين الخصوبة الحقيقية والخصوبة المرغوبة».

وقد حاول بيكر في هذه الدراسة إبراز العلاقة المباشرة لعدد الأولاد المرغوب فيه ومستوى الدخل الفردي. وخلص إلى وجود علاقة سلبية في ظل عدم ثبات المعرفة بوسائل منع الحمل (Contraceptive knowledge)، ولكن باعتبار ثباتها فان العلاقة تصبح ايجابية.

الجدول 1: عدد الاولاد لكل 100 زوج في انديانابوليس حسب دخل الزوج

المخططين لتباعد الولادات وعدد الأولاد (2)	كل الأزواج (1)	مستوى الدخل (دولار)
149	159	أكبر من 3000

¹ Becker gary,(1960) An economic analysis of fertility, National bureau of economic research, working paper N.2387, p231.

182	149	2999-2000
91	163	1999-1600
97	189	1599-1200
68	227	أقل من 1200

Source: Gary Becker, op.cit, p 219.

يوضح العمود الأول العلاقة السلبية بين الخصوبة الفعلية والدخل، أما العمود الثاني فيشير إلى وجود علاقة ايجابية بين الخصوبة المرغوبة والدخل وبمرونة دخل تساوي $+0.42\%$.

إن ما انتهى اليه بيكر يلتقي مع ما ذهب اليه مالتوس من ايجابية الارتباط بين الظروف الاقتصادية (الدخل) والخصوبة. إلا أن الاقتصادي جيمس دوزامبوري -من جامعة هارفرد- عّقب على هذه النتيجة ووضع من الأدلة مايدحضها وينفيها رأسا، مؤكدا أن الارتباط يظل سلبيا بالمطلق بين التعليم والخصوبة.

ولعل أهم انتقاد يمكن توجيهه لهذه الدراسة هو مضمون المنهج المعتمد في تحليل الخصوبة من منظور اقتصادي، إذ لا يمكن إخضاع هكذا ظاهرة لمعايير اقتصادية بحتة مثل اعتبار الأطفال سلعا معمرة وامكانية الاحلال بين كمها وجودتها. ذلك أن للخصوبة أبعادا شتى ومحددات مختلفة تتباين آثارها من بيئة لأخرى، وهي أساسا جملة الجوانب الاجتماعية، الثقافية، الجغرافية وغيرها.

كذلك من ضمن الدراسات الجادة في هذا المجال دراسة يعقوب مينسر(1981) حيث أشار الى أن تحديد حجم الأسرة من منظور اقتصادي يتم من خلال ثلاث قنوات رئيسية:¹

1. التحضر

بسبب نمو انتاجية القطاع الفلاحي، يتقلص الطلب على عمالة الفلاحين الأمر الذي يدفع بهؤلاء للهجرة اتجاه المدن قصد البحث عن عمل، ومع انخفاض انتاجية الأولاد وارتفاع تكاليفهم في الحياة الحضرية ستكون النتيجة نزوح الأفراد إلى تحديد حجم الأسرة.

2. ارتفاع تكلفة الوقت

¹ Mincer Jacob, op.cit, p22.

إن ارتفاع الأجور في سوق العمل يجذب الأفراد من الأنشطة غير السوقية (المنزل) إلى سوق العمل. ومع الأخذ في الحسبان كون رعاية الأولاد تعتبر نشاطا يتطلب وقتا كثيفا فإن ارتفاع الأجور سيؤدي الى ارتفاع الفرصة الضائعة وبالتالي ستكون حوافز المرأة لتقليص حجم الأسرة ودخول سوق العمل أكبر خاصة المرأة الأكثر تعليما.

3. التوسع في التعليم

إن ارتفاع الأجور والطلب في القطاع الصناعي على المتعلمين أدى إلى تنامي الطلب الخاص والاجتماعي على التعليم، وهو ما أدى بالأولياء لإحلال جودة الأولاد محل كميتهم.

ثانيا: التعليم كمحدد أساسي للخصوبة

اتضح ذلك جليا في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة سنة 1994 حيث جاء فيه: "إن رفع المستوى التعليمي للمرأة والبنات يسهم في تمكين المرأة، إرجاء سن الزواج وتقليص حجم الأسرة".¹ ففي البلدان النامية، نجد أن معظم المجتمعات تشهد ارتباطا سلبيا بين المستوى الدراسي العام ومعدلات الخصوبة. هذا ما توضحه دراسة شملت 69 بلدا من أفريقيا، آسيا وأمريكا اللاتينية من خلال معطيات الجدول التالي:

الجدول 2: معدلات الخصوبة حسب المستوى الدراسي في البلدان النامية

المنطقة	عدد البلدان	دون مستوى	ابتدائي	ثانوي أو عالي
افريقيا جنوب الصحراء	30	6.4	5.5	3.7
شمال افريقيا	3	4.7	3.6	2.8
غرب آسيا	10	6.4	4.6	3.5
باقي آسيا	13	4.1	3.5	2.7
امريكا اللاتينية	12	5.8	4.5	2.6

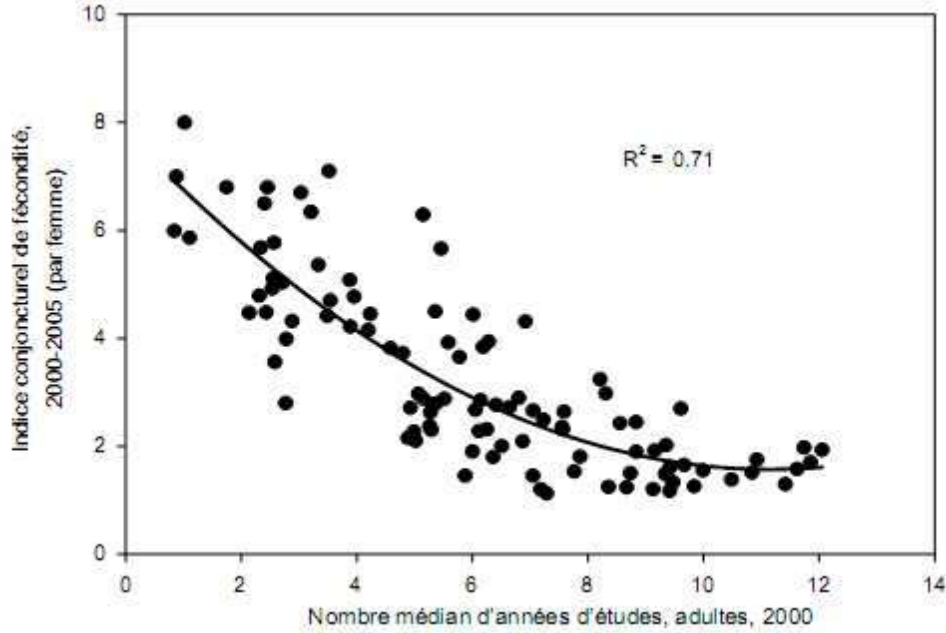
Source : population, éducation et développement, Rapport concis, Nations Unis, p31.

¹ Caroline H.Bledsoe et al, "Critical perspectives on schooling and fertility in the developing world", p2. [www.nap.edu/catalog/6272.html]

يتبين من خلال الجدول أن العلاقة المذكورة آنفا تتسحب على جميع مناطق العالم بشكل اجمالي مع وجود تباين في معدلات الخصوبة وفقا للمستوى الدراسي داخل المنطقة الواحدة؛ فمثلا في شمال افريقيا، الفرق بين الخصوبة لذووي المستوى الثانوي أو العالي ولمن هم دون تعليم هي 1.9، بينما القيمة المقابلة في افريقيا جنوب الصحراء هي 2.7 وهذا داخل قارة واحدة، الأمر الذي يوحي بوجود تباين في انماط تأثير التعليم على تدني الخصوبة.

الشكل 1: علاقة سنوات الدراسة بمعدلات الخصوبة

Source : population, éducation et développement, op.cit, p2.



وفي جانب آخر، توجد أنماط مختلفة تماما من علاقة

التعليم بالخصوبة في بعض البلدان النامية، وهي رغم محدوديتها مقارنة بالحالة الأولى إلا أنها تأكيد صريح على عدم حتمية التأثير المباشر للتعليم على تخفيض الخصوبة.¹ فمثلا توجد حالات ترفع فيها كل من معدلات المستوى التعليمي ومعدلات الخصوبة، ومثال ذلك الأردن الذي تبلغ فيه معدلات معرفة القراءة والكتابة للناث (female literacy) 86% ومعدلات الخصوبة 5.6 طفل.

ومقابل هذه الحالة، يمكن أن تتدنى كل من معدلات المستوى التعليمي ومعدلات الخصوبة كما في البنغلاديش حيث تنخفض معدلات معرفة القراءة والكتابة الى 26% ومعدلات الخصوبة 3.3 طفل.

وخلافا لما تقدم وفي الأغلب تنخفض معدلات القراءة والكتابة وترتفع معدلات الخصوبة كما في حالة الباكستان؛ 24% بالنسبة للمعدل الاول مقابل 5.6 للمعدل الثاني.

¹ Caroline H. Bledsoe et al, op.cit, p3.

أما في البلدان المتقدمة، فعلى الرغم من وجود نفس الظاهرة بشكل عام إلا أنه يسجل تباين ما بين هذه البلدان والبلدان النامية وذلك على مستويين: أولاً، إن الفارق في الخصوبة بين النساء الأقل تعليماً والأكثر تعليماً ضعيف بالبلدان المتقدمة مقارنة بالبلدان النامية. وثانياً، لا توجد صورة نمطية عن تغيرات معدلات الخصوبة وفقاً للمستوى التعليمي.¹

وفي هذا الصدد، خلصت دراسة حديثة عن محددات الخصوبة في بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OECD) سنة 2005 إلى نتيجتين هامتين:²

1- للمرأة الأكثر تعليماً عدد أقل من الأطفال مقارنة بمن لها تعليم أقل في كافة البلدان. والتباين الحاصل في معدلات الخصوبة حسب المستوى التعليمي زاد اتساعاً مع الزمن.

2- لا يوجد نمط ثابت ومطرد في جميع البلدان عند اعتبار التغيرات في الانجاب حسب المستوى التعليمي للأنثى:

أ. للمرأة الأكثر تعليماً عدد أقل من الأطفال في الوقت الحاضر مقارنة بالماضي في كل من كندا، إيطاليا، لوكسمبورغ والنرويج وكذا ألمانيا، فنلندا والسويد ولكن في النصف الثاني من التسعينيات، ويستثنى من ذلك هولندا إلى غاية 1995 والولايات المتحدة وبولندا حيث تستقر خصوبة المرأة الأكثر تعليماً.

ب. بينما توجد للمرأة ذات المستوى التعليمي المتوسط خصوبة مماثلة في الحاضر كما في الماضي في معظم البلدان قيد الدراسة. غير أن المعدل زاد في فنلندا، لوكسمبورغ والولايات المتحدة وانخفض في إيطاليا وهولندا.

ت. أما المرأة الأقل تعليماً فلها عدد أكبر من الأطفال في الحاضر مقارنة بالماضي في كل من بولندا وهولندا، وحيثا الولايات المتحدة والسويد.

إجمالاً، ومن خلال ما تقدم بخصوص طبيعة العلاقة التي تربط المستوى التعليمي بالخصوبة سواء في البلدان النامية أو المتقدمة، يمكن القول

¹ Population, éducation et développement, Rapport concis, Nations Unis, p32.

² Anna Cristina d'addio and Marco Mira d'Ercole, (2005) "Trends and determinants of fertility rates in OECD countries: The role of policies, OECD, PP :28-29.

بأن التعليم لا يؤدي لزما إلى تقليص معدلات الخصوبة، وحتى في حالة انخفاضها لا يمكن الجزم بأن التعليم وحده يشكل العامل الوحيد المفسر لذلك، إنما ثمة عديد من العوامل الكامنة التي يتباين أثرها من جهة لأخرى ومن زمن لآخر.

لكن وباعتبار وجود تأثير للمستوى التعليمي على معدلات الخصوبة يدفع بها نحو الانخفاض، يبقى السؤال المطروح: كيف يمكن حصول ذلك؟ وماهي القنوات التي من خلالها يحصل هكذا تأثير؟ هذه الإشكالية كانت ولا تزال محل جدل ونقاش في أوساط الباحثين حيث تتباين الرؤى والدلائل، خاصة وأن البلدان تتفاوت من حيث الخصائص السوسيواقتصادية وبنظمة التعليم وفعاليتها الداخلية والخارجية.

ثالثاً: قنوات تأثير التعليم على الخصوبة

فيما يلي استعراض لأهم ما تحمله الأدبيات بهذا الخصوص، وهي نتائج عن جهات مختلفة من أنحاء العالم تبرز مدى التفاوت في أهمية العوامل التي من خلالها يؤثر التعليم على انخفاض الخصوبة:

1. إرجاء فترة الإنجاب

يرتبط التعليم بشكل مباشر ببداية الدخول في الحياة الانجابية، سواء تعلق الأمر بتأخر سن الزواج، بداية العلاقات الجنسية أو أول حمل؛ فكلما طالت مرحلة الدراسة بالنسبة للاناث كان ذلك داعيا لارجاء فكرة الإنجاب بشكل عام سواء تعلق الامر بالافتران الشرعي أو غيره. والسبب في ذلك هو مزاحمة الوقت المفترض تخصيصه لرعاية الأولاد وقت الدراسة، الأمر الذي يجعل تكلفه الفرصة البديلة هذه أكبر وبالتالي العزوف عن الإنجاب المبكر.

إن نتائج الدراسات والمسوحات الديمغرافية المتعلقة بهذا الخصوص تؤكد في مجملها حقيقة هذا السلوك، وقد توصلت دراسة في هذا الشأن شملت 53 بلدا ناميا إلى أن التبكير بالزواج وبدء الحياة الجنسية وكذا أول حمل هي مظاهر شائعة لدى فئة الاناث غير المتعلقات أكثر من غيرهن، وهو ما يبينه الجدول التالي:

الجدول 3: علاقة التعليم ببداية الانجاب (%)

متزوج قبل سن العشرين			علاقات جنسية قبل سن العشرين			إنجاب طفل قبل سن العشرين			الجنس	الجهة
بدون	ابتدائي	ثانوي +	بدون	ابتدائي	ثانوي +	بدون	ابتدائي	ثانوي +		
75	60	30	83	79	64	61	53	27	اناث	إفريقيا آسيا امريكا اللاتينية نية
69	62	37	62	65	43	50	47	22		
69	63	31	76	71	44	58	53	23		
21	15	9	64	72	73	-	-	-	ذكور	افريقيا امريكا اللاتينية نية
27	26	15	75	79	85	-	-	-		

Source : Population, éducation et développement, op.cit, p27.

تشير معطيات الجدول الى أن للتعليم دورا مهما في تأخير سن الزواج والانجاب، بيد أن دوره في تفادي إقامة علاقات جنسية أقل أهمية

على الرغم من تدني النسبة لمن لهن مستوى التعليم الثانوي أو العالي مقارنة بغيرهن. ففي أفريقيا مثلا يصل الفارق بين الاناث للفئة المذكورة ومن لهن أي مستوى تعليمي الى 45 درجة فيما يخص الزواج قبل سن العشرين ويصل إلى 34 درجة فيما يخص الانجاب قبل هذا السن. في حين لا يزيد الفرق فيما يتعلق باقامة علاقات غير المشروعة على 19 درجة.

أما بالنسبة للذكور، تتماثل طبيعة العلاقة بين المستوى التعليمي والزواج قبل العشرين مع حالة الاناث من حيث التناسب بين أكبر مستوى تعليمي وأدناه مع تدني القيم بالنسبة للذكور وذلك خلافا لحالة إقامة علاقات جنسية قبل سن العشرين؛ فكلما زاد المستوى التعليمي للذكور زادت تلك العلاقات. فالتعليم ها هنا يرتبط بقوة وبايجاب مع هذا السلوك.

إجمالاً يمكن استخلاص من هذه الدراسة عن دور التعليم ببداية مرحلة الإنجاب التالي:

أولاً: يسهم التعليم في تخفيض الخصوبة من خلال تأخير سن الزواج والانجاب بالنظر الى تفضيل خيار تخصيص الوقت للدراسة على حساب الزواج والانجاب. وفي هذه الحالة لاعلاقة لنوعية التعليم ومضمون برامجه بهذا الأثر، إنما يتعلق الأمر أكثر بالخصائص الثقافية للمجتمع من حيث النظرة لتدريس الاناث. فبينما لم تعد مشكلة الجندر (Gender) في التعليم مطروحة بالبلدان المتقدمة إلا أنها لا تزال كذلك في جهات عديدة من البلدان النامية.

ثانياً: إن وجود علاقة سلبية ولكن ضعيفة بين تعليم الاناث و الإقدام على علاقات جنسية من جهة، ووجود علاقة ايجابية وقوية بين تعليم الذكور والإقدام على تلك العلاقات إنما هو دليل على ضعف البعد الاخلاقي والتربوي للتعليم بشكل عام. وهنا يُفترض أن يتجلى دور مضمون التعليم، وهو دور في الأخير يرتبط هو الآخر بالخصائص الثقافية للمجتمعات.

2. الأثر المعرفي

يُكسب التعليم الأفراد المتعلمين مهارات وخبرات معرفية هامة أيسرها معرفة القراءة والكتابة (Literacy)، ودون شك تساعد هذه المعرفة الأفراد على الوصول للمعلومة والتعامل معها بشكل سليم. وعلى سبيل المثال، توصلت دراسة في جنوب أفريقيا الى وجود علاقة سلبية وقوية بين مهارات معرفة القراءة والكتابة من جهة وحجم الأسرة من جهة اخرى مع إهمال مستوى الدخل. وبينت أن الحصول على المعلومة يلعب دورا رئيسيا في عملية صنع القرار، فالمرأة التي تتمتع بهذه المهارات بإمكانها الوصول للمعلومة والتعامل معها، سواء داخل المدارس او عبر وسائل الاعلام. وفضلا عن ذلك، فالمرأة التي لها معلومات يكون لها عادة طلب أكبر وقدرة عالية على استعمال الخدمات الصحية.¹

يعتبر استعمال موانع الحمل مثال جيد عن هكذا تأثير حيث تشير الدراسات الحديثة إلى انتشار استعمالها ضمن فئة النساء المتعلّمات مقارنة بمن هن دون تعليم، مع وجود تباين من منطقة لأخرى ومن بلد للآخر. فقد تبين من خلال عديد من الأبحاث أن آثار التعليم من خلال استعمال موانع الحمل أضعف ما تكون في أفريقيا وأقوى ما تكون في أمريكا اللاتينية بينما تكون وسطا في آسيا.²

وفي دراسة رصينة عن علاقة التعليم بالخصوبة في أمريكا اللاتينية، توصل الباحثان إلى إبراز أهمية قنوات التأثير بين التعليم والخصوبة ومن ذلك استعمال موانع الحمل، حيث تبين وجود علاقة سلبية وقوية بين المستوى التعليمي واستعمال موانع الحمل كما هو موضح في الجدول التالي:

1 "Is education best contraceptive?", p3.

[<http://www.prb.org/Publications/PolicyBriefs/IsEducationtheBestContraceptive.aspx>]

² Susan H.Cochrane, (1982)"The effects of education, health and social security on fertility in developing countries", world bank, working paper 93 p 6.

الجدول 4: نسبة انتشار استعمال موانع الحمل حسب السنوات الدراسية

سنوات الدراسة	المتوسط	0	3-1	6-4	9-7	$10 \leq$
بوليفيا	30	12	23	31	43	53
البرازيل	66	47	59	71	76	73
كولومبيا	65	53	61	65	73	73
المكسيك	53	25	44	58	70	69
البيرو	46	19	33	46	60	67

Source: Teresa casto et al, (1995) "The impact of women's education on fertility in Latin America: searching of explanations'", international family planning perspectives, Vol. 21, N 2, p55.

وفي ذات الدراسة، تؤكد الأرقام صحة الأثر المعرفي الوسيط للتعليم على الخصوبة حيث تشير بيانات الجدول أدناه الى أنه كلما زاد المستوى التعليمي للمرأة زادت معرفتها بما يتعلق بخصوبتها:

الجدول 5: بعض مؤشرات المعرفة المرتبطة بالخصوبة حسب المستوى التعليمي

سنوات الدراسة		0	3-1	6-4	9-7	10 فأكثر
الاستماع اليومي للمذيع	الاكوادور	74	82	88	94	96
	غواتمالا	44	58	73	80	78
معرفة مصدر منع الحمل	الاكوادور	60	79	90	95	99
	غواتمالا	45	75	93	97	100
فهم الدورة الشهرية	الاكوادور	7	7	17	33	53
	غواتمالا	4	8	21	41	53

Source : Teresa casto et al, op.cit, p 57 .

لكن وبالرغم من أهمية العلاقة بين التعليم وانتشار استعمال موانع الحمل "الحديثة" (modern contraceptives)، هناك من يقلل من هذه الأهمية وذلك بعدما تبين من خلال بعض الأبحاث أن ارتفاع المستوى

التعليمي يسهم كذلك في توسع استعمال موانع الحمل التقليدية، مع التسليم بأن هذه الأخيرة أقل فعالية مقارنة بالأساليب الحديثة. وفي هذا الإطار تشير دراسة خصت 26 بلدا الى وجود علاقة ايجابية بين التعليم واستعمال موانع الحمل التقليدية. وتتجلى الصورة أكثر في زيمبابوي حيث تعتبر فئة النساء الأكثر تعليما (10 سنوات فأكثر) الأوسع استخداما للموانع التقليدية من باقي النساء.¹

إذا والحال هذه، لا مسوغ للقول بعقلانية سلوك النساء المتعلمات حيث لا فرق بينهن وبين غير المتعلمات! ويجاب عن هذا القول بأنه قد تبين بعد التمحيص في منهجية الدراسة وجود خلط بين الطرق التقليدية لمنح الحمل (كالعزل والامتناع abstinence) والطرق الشعبية (Folkloric methods) كاستعمال أعشاب خاصة وتعويزات تربط على الخصر. إن هذا التفصيل يدل على ارتباط التعليم باستعمال موانع الحمل التقليدية ولو بأقل حدة مقارنة بالموانع الحديثة.

3. الأثر الاقتصادي

إلى جانب ما تقدم، يؤدي تعليم المرأة إلى رفع تكلفة فرصة الانجاب ورعاية الأطفال وذلك لجملة من الاعتبارات:²
أولا، ينظر للتعليم كونه أنجع السبل لدخول المرأة سوق العمل، وفي هذه الحالة لن يكون تخصيص الوقت والجهد كليا للإنتاج الأسري (Household production) بل سيكون الإنتاج السوق (Market production) داعيا قويا لإعادة التخصيص. ولأن رعاية الأولاد تعد نشاطا يتطلب وقتا كثيفا فلا مندوحة من إقلال الإنجاب لتقليل الوقت والجهد وتخصيصها للعمل. وهذه الحالة تماثل الى حد كبير حالة ارجاء الزواج بسبب تمديد سنوات الدراسة اذ يشترك كل منهما في عامل الزمن الذي يفسر التضحية بالعمل الأسري جزئيا أو كليا.

ثانيا: إن دخول سوق العمل بمستوى تعليمي عال سيكون سببا لارتفاع العائد من التعليم بالنسبة للمرأة. هذا الأمر يترتب عنه تقليص الخصوبة المرغوبة (الكم) مقابل زيادة جودة الأطفال (Children quality)،

¹ Caraline H.Bledsoe et al, op.cit, p10.

² Una Okonkwo Osili et al, (2007) "Does female schooling reduce fertility?: evidence from Nigeria", National bureau of economic research, working paper N. 103070, P1.

أي الإنفاق عليهم أكثر فيما يخص تعليمهم، صحتهم وغير ذلك. وتعبير رياضي، تصبح نوعية الاطفال دالة متزايدة بدلالة الدخل.¹ في الواقع، إن هذا السلوك هو بدوره تضحية، ليس بالوقت فحسب ولكن بكم الأطفال. يستند هذا الطرح أساسا إلى ما يراه بعض الإقتصاديين من لزوم التفرقة بين النظرة الإقتصادية للأطفال كونهم سلعا إستهلاكية (Consumption goods) أو أصولا إنتاجية² (productive assets). فارتفاع الدخل بسبب ارتفاع المستوى التعليمي لا يعد دافعا لطلب الأطفال كونهم "أصولا إنتاجية"، أي إنجابهم للحاجة بغرض مساعدتهم المادية في المستقبل، خاصة في مرحلة الشيخوخة، إذ تصدق هذه الحالة على أصحاب الدخل الزهيدة أو المنعومة. بينما يبرر الطلب عليهم على أساس النظرة الأولى، أي كونهم "سلعا إستهلاكية" تطلب لسد حاجة معنوية للآباء خلافا للحالة الأخرى. من أجل ذلك، سيزيد الإنفاق عليهم كيما تزيد "نوعيتهم" المذكورة آنفا.

ثالثا: تطمح المرأة الأكثر تعليما بل وتحرص على الاقتران برجل يفوقها أو يكافئها في المستوى التعليمي. وفي حال تكوين أسرة سيكون الدخل المشترك معتبرا نتيجة لأثر المضاعف³ (Multiplier effect). وهذه الوضعية الاقتصادية الجيدة للأسرة تحفز الطرفين على إنجاب عدد أقل من الأطفال مقابل التركيز أكثر على جودتهم، لذات الأسباب المذكورة في الحالة السابقة. وبناءً عليه يتقرر أن يكون الزوجان راشدان عندما يسلكا هذا السلوك. ودون شك هذا التحليل الذي يتفق مع طرح بيكر المذكور آنفا لا يخل من زلل. فقد تقدم أنه لا يصح أخلاقيا اعتبار الأطفال سلعا بأي شكل من الأشكال. ولعل بيئة هؤلاء الكتاب قبل تخصصهم الأكاديمي لها فعلها في هكذا تحليل.

بالنسبة للمجتمعات الإسلامية، لا يمكن تفسير الطلب على الأطفال على هذا النحو بأسلوب إقتصادي محض، بل ثمة دوافع غير إقتصادية وراء ذلك، ففي ضوء مبادئ الدين الإسلامي لا يمكن تبرير تحديد النسل بحجة

¹ Justin McCrary et al, (2006) The effect of female education on fertility and infant health, National bureau of economic research, working paper N.123229, p7.

² Jean Drèze et al, (2000) "Fertility, education and development: further evidence from India", p7. [http://econpapers.repec.org/paper/cdecdwps/76.htm]

³ Justin McCrary et al, op.cit, , p7.

الإهتمام بجانب "الجودة" حال ارتفاع الدخل، إذ لا يتعلق الأمر هنا بحاجة معنوية (الإستمتاع) ولا حتى مادية، بل ثمة أبعاد عقدية قبل كل ذلك. إلى جانب دور المستوى التعليمي للمرأة في تخفيض الخصوبة، ثمة أيضا دور آخر يلعبه المستوى التعليمي بالنسبة للرجل، وإن كان محدودا مقارنة بالدور الأول. هذا ما تؤكدته معظم الأدبيات الحديثة؛ إذ يفسر الأثر الكبير للمستوى التعليمي للمرأة على الخصوبة على أساس المسؤولية الكبرى والمباشرة التي تتحملها الزوجة في إنجاب ورعاية الأطفال.¹

وفي دراسة حديثة في هذا الشأن، حاولت لوشيا برايروفا وزميلها استقصاء هذه الإشكالية في اندونيسيا:² هل يعتبر دور المستوى التعليمي للرجل حقيقة أقل منه بالنسبة للمرأة في تفسير الخصوبة؟ وقد كانت منهجية الباحثان تستهدف الفئات الاجتماعية التي استفادت من سياسة توسيع التعليم في السبعينيات، وتم التوصل في الأخير إلى أن أثر المستوى التعليمي للمرأة أقوى بكثير من أثر المستوى التعليمي للرجل.

وفي دراسة أخرى عن أمريكا اللاتينية، جاءت النتائج مطابقة تماما لما انتهت إليه الدراسة السابقة. فبالرغم من وجود ارتباط سلبي جلي لكل من المستوى التعليمي للمرأة و الرجل إلا أن الارتباط السلبي لمستوى تعليم المرأة كان أقوى مقارنة بنظيره الآخر كما هو وارد في الجدول التالي:

الجدول 6: مقارنة أثر المستوى التعليمي للزوج والزوجة على الخصوبة في أمريكا اللاتينية

سنوات الدراسة	المستوى التعليمي للمرأة				المستوى التعليمي للرجل			
	3-1	4-6	7-9	10 فأكثر	3-1	4-6	7-9	10 فأكثر
كولومبيا	-0.66	-1.35	-1.70	-1.99	-0.23	-0.52	-0.48	-0.61
الإكوادور	-0.15	-0.83	-1.30	-1.074	0.01	-0.22	-0.39	-0.35
غواتيمالا	-0.27	-0.76	-1.06	-1.10	-0.14	-0.31	-0.19	0.08

Source: Teresa Castro Martin et al, op.cit, p57.

خلاصة

¹ Jean Drèze et al, op.cit, p6.

² Lucia Breierova and Esther Duflo, (2002) "The impact of education on fertility and child mortality: Do fathers really matter less than mothers? NBER 10513., p3.

اتضح من خلال ما تقدم اهتمام الاقتصاديين بظاهرة الخصوبة كونها واحدة من الظواهر الديمغرافية التي باتت تشكل تحديات حقيقية خاصة في البلدان النامية والفقيرة، وذلك بالنظر لتداعياتها الاقتصادية والاجتماعية السلبية. وتشير الأدبيات الحديثة إلى وجود عديد من المحددات الاقتصادية للخصوبة وهي أساسا دخل الأسرة، التحضر، ارتفاع تكلفة الوقت بالنسبة للمرأة العاملة والتوسع في التعليم خاصة بالنسبة للإناث. وقد تبين من خلال الدراسات الدولية عدم وجود علاقة نمطية تربط التعليم بالخصوبة، إلا أنه في حالة وجود علاقة سلبية بينهما فإن أهم القنوات التي من خلالها يؤثر التعليم على الخصوبة تتمثل فيما يلي: إرجاء فترة الإنجاب بسبب طول مرحلة الدراسة، الأثر المعرفي للتعليم من خلال الاستعمال الجيد لموانع الحمل ثم الأثر الاقتصادي المتمثل في ولوج المرأة المتعلمة لسوق العمل والذي سيكون دون شك على حساب جانب مهم من الأنشطة المنزلية والتي من ضمنها إنجاب ورعاية الأطفال.

المراجع

Anna Cristina d'addio and Marco Mira d'Ercole. (2005) *"Trends and determinants of fertility rates in OECD countries: The role of policies"*, OECD.

Becker gary. (1960) *An economic analysis of fertility*, National bureau of economic research, working paper N. 2387.

Caraline H.Bledsoe and john B.Casterline, *"Critical perspectives on schooling and fertility in the developing world"* [www.nap.edu/catalog/6272.html]

Jean Drèze and Mamta Murthi (2000) *"Fertility, education and development: further evidence from India"*. [http://econpapers.repec.org/paper/cdec dwps/76.htm]

Justin McCrary and Heather Royer. (2006) *The effect of female education on fertility and infant health*, National bureau of economic research, working paper N.123229.

"Is education best contraceptive?". (2000)

[<http://www.prb.org/Publications/PolicyBriefs/IsEducationtheBestContraceptive.aspx>]

Lucia Breierova and Esther Duflo. (2002) *"The impact of education on fertility and child mortality: Do fathers really matter less than mothers?"* NBER 10513.

Mincer jacob. (1981) *Human capital and economic growth*, National bureau of economic research, working paper N. 803.

Nations Unis. (2003) *Population, éducation et développement*. Rapport Concis.

Schultz theodore. (2007) *Fertility in developing countries*,
[ageconsearch.umn.edu/bitstream/10119/1/dp070953.pdf]

Schultz theodore. (2001) *The fertility transition: Economic explanations*, Economic growth center, yale university.

Susan H.Cochrane. (1982) *"The effects of education, health and social security on fertility in developing countries"*, world bank, working paper 93.

Teresa Castro Martin and Fatima Juarez,. (1995) *"The impact of women's education on fertility in Latin America: searching of explanations"*, In: international family planing perspectives, Vol. 21, N. 2.

Una Okonkwo Osili and Bridget Terry Long. (2007) *"Does female schooling reduce fertility?: evidence from Nigeria"*, National bureau of economic research, working paper N. 103070.